

رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقوق المرأة

(٢٠١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد ..

لا يخفى على المتأمل في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وسنته تلك النقلة النوعية التي حدثت للمرأة في ظل تعاليمه - صلى الله عليه وسلم - وهديّيه، حتى ليتمكن القول بأنه أحدث ثورة على ما كان مألوفاً تجاه المرأة في هذا العصر وما سبقه من عصور. لقد أحيا النبي هذا الكيان المستضعف الذي ظلّم واضطهد، وامتهنت كرامته، وسلبت إرادته، وكبت وأقصي على مدى حقبٍ طويلة وأزمان متباعدة، لا شيء إلا لكونه أنثى، حتى بلغ الظلم والقسوة بأن كان أحدهم يعضو كلبه ويئد ابنته !!

حمل النبي - صلى الله عليه وسلم - لواء الدفاع عن حقوق المرأة، في زمن لم يكن للمرأة فيه أدنى حق، وانطلق في حملته لتكريم المرأة من قوله تعالى: **(ولقد كرمنا بني آدم) ومن قوله تعالى: (ولهنّ مثل الذي عليهنّ بمعروف)**.

أما الحقوق التي ظفرت بها المرأة في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - فهي كثيرة، منها المساواة بين الرجل والمرأة في التكريم والتكليف والجزاء الأخروي قال تعالى: **(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنخينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)**.

ومن ذلك حقها في التعليم ، لقوله - صلى الله عليه وسلم - : **« طلب العلم فريضة على كل مسلم »** [الطبراني] وهذا يشمل النساء لأنه ليس هناك ما يدل على اختصاص الرجال بالخطاب، فالأصل: العموم. وقد قالت النساء للنبي: **« غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن »** [متفق عليه].

ومن ذلك حقها في اختيار الزوج فعن خنساء بنت خدام أن أباه زوجها وهي ثيب، فكرهت ذلك ، فأنت رسول الله فردّ نكاحها [البخاري] وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : **« لا تنكح البكر حتى تُستأذن »** [متفق عليه].

ومن ذلك حقها في الحياة الكريمة والأمن والقضاء العادل، فقد ورد أن نسوة ذهبن إلى بيوت أزواج النبي يشتكين أزواجهن، فقال النبي: **« لقد أطاف بأل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم »** [أبو داود] وهكذا أسقط النبي خيرية هؤلاء الرجال لمجرد شكوى زوجاتهم، وهذا غاية الإنصاف للمرأة.

وجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - للمرأة حقاً في الخروج من بيتها لقضاء الحاجات وحضور الصلوات في المسجد وغير ذلك، وفي الصحيحين: **« لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »**.

ومن الحقوق المالية للمرأة: حقها في المهر لقوله تعالى: **(وأتوا النساء صدقاتهن نحلة) أي أعطوهن مهورهن فريضة.** وحقها في النفقة لقوله - صلى الله عليه وسلم - **« ابدأ بمن تعول »** [متفق عليه] وقوله **« امرأتك ممن تعول »** [أحمد] وحقها في المسكن لقوله تعالى: **(أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم)**، وحرية التصرف في التعاقدات المالية كالبيع والشراء والدّين والرهن، والقرض، والوكالة، والإجارة، والوقف، والتبرعات المالية وغير ذلك. ومن ذلك حقها في فراق زوجها بالخلع وقد ورد أن امرأة ثابت ابن قيس قالت: يا رسول الله! ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام. فقال رسول الله **« أتردين عليه حديقته؟ »** قالت: نعم قال: **« اقبل الحديقة، وطلقها تطليقة »** [البخاري].

ومن ذلك حقها في الميراث، فبعد أن كانت تورث كالمتاع، فيرثها أقارب الزوج، فإن شاء ابنه الأكبر تزوجها، وإن شاؤوا زوجها أحدهم، وإن شاؤوا عضلوا حتى تموت أو تغدى نفسها بالمال، بعد كل هذا أصبحت من جملة الورثة أصحاب الفروض.

ومن الحقوق السياسية للمرأة: حقها في البيعة والحسبة والشورى والأمان والإجارة والنصيحة وغير ذلك، فقد أجازت أم هانئ رجلاً من المشركين، وأقر النبي - صلى الله عليه وسلم - أمانها وقال: **« قد أجرنا من أجرنا يا أم هانئ »** [متفق عليه].

وهذه امرأة تستوقف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو خليفة، وحوله الناس، فوعظته وقالت له: يا عمرا قد كنت تدعى عميراً، ثم قيل لك أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب، وهو واقف يسمع كلامها. فقيل له في ذلك. فقال: والله لو حسبتني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة ، أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمرا!! وجعل النبي للمرأة حقها في الخروج للعمل وذلك بالضوابط الشرعية المعروفة، ومن الأدلة على ذلك أن امرأة ابن مسعود كانت ذات صنعةٍ تبع منها وتتفق على زوجها وولدها من ثمرة صنعتها، فسألت النبي فقالت: يا رسول الله إني امرأة ولي صنعة فأبيع منها وليس لي ولا لزوجي ولا لولدي شيء وشغلوني فلا أتصدق ، فهل لي في النفقة عليهم من أجر؟ فقال - صلى الله عليه وسلم - : **« لك في ذلك أجر »** [ابن حبان].

ومن أعظم الحقوق التي نالتها المرأة حقها في الحضنة، فقد أتت امرأة النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وججري له حواء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينتزعه مني فقال: « أنت أحقُّ به ما لم تنكحي » [أحمد وأبو داود].

لقد أصلح النبي أحوال المرأة، وبين مكانتها وحقوقها في الإسلام، وأكثر من الوصاية بها، وحذر من ظلمها وقهرها، ومنعها شيئاً من حقوقها وذلك من خلال نصوص عامة هي كمنارات الطريق لكل منصفٍ مسترشد وذلك مثل قوله: « إنما النساء شقائق الرجال » [أحمد والترمذي] أي نظائرهم وأمثالهم في الأخلاق والطباع، كأنهن شققن منهم. وقوله: « حُبِّ إليَّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة » [النسائي]، وقوله: « لا يغرك مؤمنٌ مؤمنة - أي لا يبغضها - أن كره منها خلقاً رضي منها آخر » [مسلم] ، وقوله: « استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً » [متفق عليه]، وهذا فهم عظيم لطبيعة المرأة وحثُّ على معاملتها بالرفق واللين والمدارة لا بالقسوة والغلظة.

وحذر النبي من ظلم المرأة وجعل ظالمها واقعاً في الضيق والحرج والعنت غير معفو عنه فقال: « اللهم إني أحرِّجُ حقَّ الضعيفين اليتيم والمرأة » [ابن ماجه].

وبين النبي أن خير الرجال هو الذي يُحسن معاملة النساء، فقال: « خياركم خياركم لنسائهم » [الترمذي]، ولم يضرب النبي امرأة قط كما قالت عائشة - رضي الله عنه - [مسلم] بل إنه عنف الذين يضربون نساءهم فقال: « يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد، ثم يعانقها آخر النهارا » [متفق عليه].

وهذا درس تربوي رائع في مراعاة مشاعر المرأة وبخاصة حال طلبها للفراش.

إننا نعتقد أن من أهم أسباب معاناة المرأة في مجتمعنا السعودي هو حرمانها من بعض حقوقها الشرعية، وأن أفضل وسيلة لإسعادها وإسعاد المجتمع إعطاؤها تلك الحقوق ومن هنا فإننا ندعو إلى القيام بحملة توعوية لإبراز تلك الحقوق الشرعية للمرأة السعودية تشمل سائر هجر وقرى ومدن المملكة يشترك في هذه الحملة المعنيون بشئون المرأة من كتاب وإعلاميين ومعلمين وتربويين ودعاة ومصلحين وخطباء مساجد وأصحاب رأي وغيرهم وان تدرس هذه الحقوق للطلاب والطالبات في مدارسهم وجامعاتهم وأن تسهم المرأة بدورها في هذه الحملة، فهذا كفيل بإسعاد المرأة السعودية وإعطائها كافة حقوقها الشرعية وحمايتها من مظاهر الانحراف وسلامتها من كل ما يؤثر على دينها ، وهو أيضاً عبادة عظيمة كسائر العبادات التي شرعها الله تعالى.

رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقوق المرأة

(٢-٢)

تميز هدي النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - في تأكيد وتأسيس حقوق المرأة بالشمولية والاستيعاب لجميع مراحلها العمرية، فأعطاه حقوقها بنتاً وأختاً، وزوجة وأماً، فتاة وعجوزاً، حرّة وأمةً، صحيحة ومريضة، غنية وفقيرة، حتى المرأة المشركة كان لها من رحمة النبي نصيب. فأما البنت فقد أبطل الإسلام عادة كراهية البنات، وبدأ القرآن بذكر الإناث كنعمَةٍ من أعظم نعمه على الإنسان: (لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور)، وأبطل عادة دفن البنات: (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت)، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات ، ووأد البنات » [مسلم] وأبطل النبي عادة التفضيل بين الأبناء فقال: « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » [متفق عليه].

وعلم النبي أن تربية البنات تحتاج إلى صبر ونفقات كثيرة، فرتب على ذلك الأجر العظيم فقال: « من عال جارتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو - وضم أصابعه - » [مسلم].

وانظر إلى هذا المشهد الرائع الذي ترويه السيدة عائشة - رضي الله عنه - فتقول: جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها، فأعطت كل واحدة تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتْها ابنتها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبنى شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله فقال: « إن الله قد أوجب لها بها الجنة » [متفق عليه].

وأمر النبي بالإحسان إلى البنات فقال: « ما من مسلم تدرك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتهما أو صحبتهما إلا أدخلناه الجنة » [أحمد].

وكان العربيُّ في الجاهلية يأنف من أن يداعب وليدته أو يقبلها، فأبطل النبي هذه العادة، وكان يحملُ أمامة بنت ابنته على عاتقه وهو يصلي، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها. [متفق عليه].

وكان يقول في ابنته فاطمة: « فاطمة بضعة مني، يربيني ما رابها، ويؤذيني ما آذاه » [متفق عليه].

وانظر إلى حسن تعامله ولطفه عند لقائها فقد أتت تمشي إلى النبي، فقال: « **مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثاً فبكت، ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكت** » [متفق عليه].

وأما الأخت فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **من عال ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو أختين أو ابنتين فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة** » [أبو داود].

وأما الزوجة فقد ورد عن النبي في شأنها من حسن العشرة ولطف المعاملة وكرم النفس والمروءة ما يعجز القلم عن وصفه ، ولكن حسينا ذكر بعض ما ورد في ذلك، فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي** » [ابن حبان].

وقال جابر في معاملة النبي زوجته عائشة: « **وكان رسول الله رجلاً سهلاً إذا هَوَيْتُ - أي عائشة - الشيء تابعها عليه** » [رواه مسلم] فأين هذا ممن يظنون أن القوامة هي رفض كل ما تطلبه الزوجة وإن كان يسيراً؟! ومن أجمل المواقف ما حدثت به عائشة - رضي الله عنه - أن رسول الله قال لها: « **إني لأعلم إذا كنت عني راضيةً، وإذا كنت عليّ غضبي** » قالت: من أين تعرف ذلك؟ قال: « **أما إذا كنت عني راضيةً فإنك تقولين: لا وربُّ محمد، وإذا كنت غضبي قلت: لا وربُّ إبراهيم** » قالت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجُرُ إلا اسمك. [متفق عليه] فأين نحن من هذا الدفاء والعطف والحب والمودة؟ وعن عائشة قالت: خرجت مع النبي في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم. فقال للناس: « **تقدمو** » ثم قال لي: « **تعالى حتى أسابقك** » فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم ونسيبتُ خرجت معه في بعض أسفاره. فقال للناس: « **تقدمو** ». ثم قال: « **تعالى حتى أسابقك** » فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: « **هذه بتلك** » [أحمد أبو داود].

وقد راعى النبي حاجة المرأة الجنسية فرغب الأزواج في إشباع هذه الحاجة لدى المرأة، حتى لا تتحرف وتلتفت لغير زوجها فقال « **وفي بضع أحدكم صدقة** » قالوا: يا رسول الله! أباتي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟ قال: « **أرايتم إن وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ كذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر** » [مسلم].

ومن تكريم النبي - صلى الله عليه وسلم - للمرأة أن نهى الأزواج عن سوء الظن بنسائهم وتلمس عثراتهن قال جابر: « **نهى رسول الله أن يطرق الرجلُ أهله ليلاً يتخوّنهم أو يلمسُ عثراتهم** » [متفق عليه].

فأي تكريم للمرأة فوق أن يُمنع الرجلُ من دخول بيته ليلاً دون أن يُعلم امرأته إن كان يقصد التجسسَ عليها وتلمسَ عثرتها! ورغب النبي الأزواج في التوسعة على الزوجات بالنفقة فقال لسعد: « **إنك لن تنفق نفقةً تتبغي بها وجه الله إلا أحررت عليها، حتى ما تجعله في فيءٍ - أي فم - امرأتك** » [متفق عليه] وقال « **أفضل دينار دينارٌ ينفقه الرجل على عياله** » [مسلم]. وقال: « **إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أجر** » [أحمد].

وقال: « **إن الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ ذلك أم ضيع ، حتى يسألَ الرجلَ عن أهل بيته** » [ابن حبان]. وقال: « **الدنيا متاع وخير متاعها المرأةُ الصالحة** » [مسلم].

وأما الوفاء للزوجة بعد وفاتها فقد ضرب النبيُّ أروع الأمثلة في ذلك، قال أنس: « **كان النبي إذا أتني بالهدية قال : اذهبوا إلى فلانة ، فإنها كانت صديقة لخديجة** » [الطبراني].

ولم ينس النبي المرأة الأم التي تتجاهلها تشريعات حقوق الإنسان الدولية، فإنه لما سأله رجل: من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: « **أمك** » قال: ثم من؟ قال: « **أمك** » قال: ثم من؟ قال: « **أمك** » قال: ثم من؟ قال: « **أمك** » [متفق عليه].

وجاء رجل إلى رسول الله فقال: يا رسول الله! أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك. فقال: « **هل لك من أمر؟** » قال: نعم قال: « **فالمزها فإن الجنة تحت رجليه** » [النسائي].

لقد أنصف النبيُّ المرأة أينما كانت وأياً كان وضعها ومكانتها، قال أنس: كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله فتنتلق به حيث شاءت في حاجتها [البخاري]. ولم يطق النبيُّ أن تضرب أمةً فقال لمن ضربها: « **أعتقها فإنها مؤمنة** » [مسلم]. فكانت اللطمة سبباً كافياً في تحرير العبيد عند محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وكان النبي لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضى لهما الحاجة [النسائي].

ولكبار السن مع النساء مكانة عند النبي - صلى الله عليه وسلم -، فعن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي وهو عندي، فقال لها رسول الله: « **من أنت؟** » قالت: أنا جثامة المزنية. فقال: « **بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟** » قالت: بخير، بأبي أنت وأممي يا رسول الله. فلما خرجت قالت عائشة: يا رسول الله! تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: « **إنها كانت نأيناً زمن خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان** » [الحاكم].

واعتنى النبي بذوي الاحتياجات الخاصة من النساء، فعن أنس بن مالك أن امرأة في عقلها شيء قالت: يا رسول الله! إن لي إليك

حاجة، فقال رسول الله: « يا أم فلان! انظري أيّ طريق سنّت قومي فيه حتى أقوم معك، فخلا معها رسول الله يناجيهما حتى قضت حاجته ». [مسلم].

وأما المرأة المشركة فقد نهى النبي عن قتل النساء في الحروب، ومرّ على امرأة مقتولة في بعض الغزوات فوقف عليها ثم قال: « ما كانت هذه لتقاتل » ثم نظر في وجهه أصحابه، وقال لأحدهم: « الحق بخالد بن الوليد، فلا يقتلن ذرية ولا عسيماً - أي أجيراً - ولا امرأة » [أحمد وأبو داود].

هذا بعض ما جاء في حقوق المرأة ومكانتها عند رسولنا وحبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، فما أحوجنا في واقعنا المعاصر إلى تعلم هذا الهدى والعمل به، وإعطاء المرأة كامل حقوقها والنظر على أن ذلك عبادة وقربة إلى الله تعالى وهذا أبلغ في نصرته النبي من مجرد الهتافات ورفع الشعارات دون عمل، إننا إذا فعلنا ذلك قدمنا للعالم صورة مشرقة عن الإسلام وربما كان هذا سبباً في إقبال الناس على الإسلام أكثر مما نراه اليوم.

د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ مشارك بجامعة الملك سعود

Email: dralmazyad@hotmail.com